Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يوجد فى أيامنا من يمضى حياته فى نظم مدائح ملقة، بسبب ما حدث فى حياتنا من تغير، بل ما حدث فى حياة الشاعر المعاصر نفسه. إذ أصبح لا ينتج ولا يقدم شعره لهذا الممدوح أو لذاك، إنما ينتجه ويقدمه للجمهور من حوله، وهو لذلك يتغنى بأهوائه وميوله سياسية وغير سياسية.

وليس معنى ذلك أن شعر المديح الذى أنتجه أسلافنا منذ الجاهلية جدير بأن نتنكّر له وأن نتبرّأ منه لسبب فى غاية الأهمية يجعلنا نحرص على أمّهاته وروائعه أشد الحرص ونضمها إلى صدورنا فى تجلّة وإكبار، ذلك أنها صوّرت منذ العصر الجاهلى البطولة العربية الخالدة على صفحات التاريخ، صوّرت أوّلاً بطولة الجاهليين متخذة منهم مُثُلاً رفيعة لشباب الجاهلية. ثم صوّرت بطولات العصر الإسلامى وفتوحاته العظيمة التى امتدت من الهند وأواسط آسيا إلى قرطبة فى الأندلس. ومضت تصوِّر بطولات القادة والخلفاء العظام فى العصر العباسى. ونضرب لذلك مثلا هو: أن نقفور إمبراطور بيزنطة امتنع عن أداء الجزية التى كانت مفروضة على بلاده فى عهد هرون الرشيد، وكتب إلى الرشيد يعلنه بذلك، فكتب الرشيد إليه على ظهر كتابه: «من هرون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يابن الكافرة، والجواب ما تراه لا ما تسمعه، والسلام». وانقضّ الرشيد بجحافله الضخمة على آسيا الصغرى، وافتتح مدينة هرقلة، فارتاع نقفور وأخذه الفزع من كل جانب، وتعهّد للرشيد أن يؤدّى إليه الجزية صاغرًا. ونقرأ فى كتب التاريخ سردًا لذلك الفتح لا يصوّر بقوّة هذا النصر المجيد حتى إذا قرأنا أشعار أشجع السُّلَمِىّ وغيره فى تصويره راعَنا هذا النصر العسكرى للرشيد وجنوده روعة شديدة، روعة كانت تملأ نفوس الشباب العربى حمية وحماسة للذود عن حماهم ودَقّ أعناق أعدائهم وأعداء الإسلام والعروبة دَقًّا. ومدائح أبى تمام والبحترى لقواد الدولة العباسية فى زمنها تجسّد انتصاراتهم على الروم وغير الروم تجسيدًا رائعًا كان يُشْعِل الحمية فى نفوس الجنود العرب، فإذا هم يسحقون ضلوع أعدائهم سحقًا ذريعًا.

وناهيك بانتصارات سيف الدولة على جنود الروم وقوادهم وتمزيقه لهم شرّ ممزق، وقُيِّض له المتنبى الشاعر الفارس ليصوّر كيف كان يُنْزل صواعق الموت